﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨﴾ [الفتح: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

ذِكْرُ حِكْمَةِ الله تعالى في إرسال رسوله ﷺ

لمّا أُريد الانتقالُ من الوعد بالفتحِ والنَّصْرِ وما استلزمَ ذلك ممّا اتَّصلَ به ذِكْرُهُ إلى بيانِ أحداث الحُديبية، وإبلاغِ كلِّ مَن له حظٌّ فيها نصيبَهُ المستحقَّ من ثناءٍ أو غيره؛ صدَّر ذلك بذكر مقصود اللّه تعالى من إرسالِ رسولِه محمَّد ﷺ؛ ليكونَ ذلك بمنزلةِ المُقدِّمةِ لذِكْرِ تلك الأحداثِ، فنُصَّ على حكمةِ اللّه تعالى في إرساله ﷺ بما له مزيدُ اختصاصٍ بحادثة الحُديبية، فقال سُبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شَٰهِدٗا﴾: (شهد) تدور تصريفاتُه على حضورٍ وعِلْم وإعلام[2]، والشُّهودُ والشَّهادَةُ: الحضور مع المشاهدة إمّا ببَصَرٍ أو بصيرَةٍ، والشَّهادَةُ: قولٌ صادر عن عِلْم حَصَل بمشاهدة بصيرة أو بَصَر[3]، وزِنَةُ (فعيل) مِن أبنية المبالغة في (فاعل)؛ فإذا اعتُبِر العِلْمُ مطلقًا؛ فهو العليم، وإذا أُضيفَ إلى الأمور الباطنة؛ فهو الخبير، وإذا أُضيف إلى الأمور الظّاهرة؛ فهو الشَّهيد[4]، والشّاهِدُ: العالِم الذي يُبَيِّنُ ما عَلِمَه، وهو المراد هنا.

2) ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾: (بشر) تدلُّ اشتقاقاتُه على ظُهورِ شيءٍ مع حُسْن وجمال[5]، والتَّباشيرُ: البُشْرى، وتَباشيرُ الصُّبحِ: أوائلُه، وكذلك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 155.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شهد).
(3) الرّاغب، المفردات: (شهد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بشر).

أوائلُ كلِّ شيءٍ، والبشير: المُبَشِّر، والمُبَشِّرات: الرّياح الَّتي تُبَشِّرُ بالغيث، والبَشيرُ: الجميلُ[1]، والبِشارة: أوَّل خبرٍ سارٍّ، ولا يقع في شَرٍّ إلّا على سبيل التَّهكُّم، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: 21]، وامرأةٌ بشيرةٌ وناقةٌ بَشيرَةٌ، أي: حَسَنَة[2].

3) ﴿وَنَذِيرًا﴾: (نذر) تدلُّ تصريفاتُه على تَبِعةٍ تُلْتَزَم، أو يُخْشَى مِن لزومها[3]، والنَّذْر: أن يوجِب العبدُ على نَفْسِه ما ليس بواجبٍ عليه في أصل الشَّرْع، والإنذارُ: إخبارٌ فيه تخويف[4]، والنَّذير: الإنذار، والنَّذير: المُنْذِر، والنَّذير: المُحَذِّر، وهو فعيل بمعنى: مُفْعِل، والجمع: نُذُر[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَذْكُر اللّه تعالى أنَّه أرسلَ رسولَه محمَّدًا ﷺ شاهدًا على أُمَّته بالبلاغ، مُبيّنًا لهم ما أُرسِل به إليهم، ومبشِّرًا مَن أطاعَهُ بالجنَّة ورِضْوانِ اللّه تَعالى، ومُنْذِرًا مَن عصاهُ بالعِقاب في العاجِلِ والآجِل[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآية عمّا قبلَها:

التَّمهيدُ لذِكْرِ أحداث الحُدَيْبية

فُصِلَ قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ عمّا قبله؛ لكونه مُستأنَفًا استئنافًا ابتدائيًّا، والغرضُ هوَ التَّمهيد لذِكْرِ أحداثِ الحُديبية، بذِكْرِ أوصافِ النَّبيِّ ﷺ، الَّتي لها مزيدُ اختصاصٍ بهذه الواقعة.

دَلالَةُ التَّوكيد بِـ (إنّ):

الاهتمامُ بشَأْنِ الرِّسالَةِ

أُكِّدَت الجملةُ الخبريَّةُ في قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا

(1) الجوهريّ، الصِّحاح: (بشر).
(2) السمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: (بشر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نذر).
(4) الرّاغب، المفردات: (نذر).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (نذر).
(6) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 511.

﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ بـ (إنَّ)؛ للاهتمام بمضمون الخبر لا لردِّ إنكارٍ أو تردُّدٍ، فإنَّ الخطابَ موجَّهٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، ولا يُتصوَّرُ مِنهُ تردُّدٌ في مضمون هذا الخبرِ فضلًا عن الإنكارِ.

وجهُ التَّعبيرِ بفعل الإرسالِ ماضيًا مسندًا إلى ضمير العَظَمةِ:

تعظيمُ المُرْسِل وتشريفُ المُرْسَل

عُبِّر بفعلِ الإرسال ماضيًا في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾؛ لتقرير الإرسال وتحقيقه، وأُسْنِد إلى ضمير العظَمَةِ؛ تعظيمًا للمُرسِلِ، وهو الله تعالى، وتشريفًا للمُرسَلِ، وهو النَّبيُّ ﷺ.

سِرُّ التَّعبير باسم الفاعل ﴿شَٰهِدًا﴾:

شهادةُ الرَّسول ﷺ على الأُمم

عُبِّر باسم الفاعل ﴿شَٰهِدًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾؛ لوقوع الشَّهادة منه ﷺ على أُمَّته بالإيمان لِمَن آمن منهم، وبالكفر على من كَفر بَعد أن بَلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة.

دَلالةُ الحاليَّةِ في قوله: ﴿شَٰهِدًا﴾:

أثرُ الدَّلالةِ النَّحويَّة في بيان دَقائِق المَعاني

لفظُ ﴿شَٰهِدًا﴾ من قول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ منصوبٌ على الحالِ، وهذه الحالُ مقارنَةٌ؛ إذا حملنا الشَّهادَةَ على كونِها حاصلةً في الدُّنيا والآخرةِ[1]، وتكونُ الحالُ مقدَّرةً - أي: متأخِّرةً عن عاملِها، وهو (أرسلنا) في الزَّمن - إذا خَصَصْنا الشَّهادةَ بكونِها حاصلةً في الآخرةِ، كما يدلُّ عليه قولُ الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النّساء: 41].

عِلَّةُ تقديمِ وصْفِ الشّاهِد:

البشارَةُ والنِّذارة وصفان متفرِّعانِ عن وصف الشَّهادَةِ

قُدِّمَ وصْفُ الشّاهد في قول الله سُبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾؛ لأنَّه وصفٌ يَتَفَرَّعُ عنه الوَصفان اللَّذانِ بَعْدَه، والمَعْنى: إنّا أرسلناك حالَ كونِك شاهدًا على الأُمَّة بالتَّبليغِ، بحيثُ يُقطَعُ العُذرُ عمَّن خالف شريعتَكَ، وشاهدًا على الأمم أيضًا،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 155.

ويترتَّب على هذا التَّبليغِ المشهودِ به أنَّك تُبشِّر أهلَ الطّاعة، وتُنذِرُ أهلَ المعصيةِ بحسب درجات عصيانهم[1]، وجمع سبحانه بين كونه ﷺ مُبَشِّرًا ونَذيرًا؛ لأنَّ مِن النّاس مَن ينفعُه التَّرغيبُ في الثَّواب، ومنهم مَن لا يزجره إلّا التَّخويف مِن العقاب[2].

دلالةُ العطفِ بالواو:

تكامُلُ مهامِّ النَّبيِّ ﷺ واتِّساقُها

عُطِفَت الأوصافُ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ بالواوِ؛ للإشارة إلى استقلال كُلِّ صِفةٍ، وأنَّها قائمة برأسها، وفي ذلك إبرازٌ للتَّكامُلِ بين مهامِّ النَّبيِّ ﷺ، ففي الشَّهادَةِ دلالةٌ على تبليغِ الرِّسالةِ، وفي البِشارة إيماءٌ إلى رحمته ﷺ بمَن يتَّبعُ الحقَّ، وينقادُ له، وفي النِّذارةِ إشارةٌ إلى حرصه على دعوةِ المُعرضينَ عن الحقِّ؛ ليَرْجِعوا إليه.

سِرُّ التَّعبير باسم الفاعل (مُبشِّرًا):

البِشارَةُ مِن صميمِ الرِّسالة النَّبويَّة

عُبِّر باسم الفاعل (مبشِّرًا) من قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا﴾؛ لصدورِ البِشارةِ منه ﷺ، ولإفادَةِ ثباتِ الوصفِ وداومه، وأنَّ البِشارةَ من صميمِ رسالته ﷺ.

سِرُّ التَّعبير بصيغة (فَعيل) في (نذيرًا):

لا يُقْدِم على النِّذارة إلّا مَن عَرفَ منافِعَها

جاءَ وصفُ النِّذارة (نذيرًا) في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾، بصيغةِ (فعيل)، وهي مِن أوزانِ المبالغَة، وكان مقتضى صَوْغِ البِشارةِ بصيغة اسم الفاعل (مبشِّرًا) أن يردَ وصفُ النِّذارة كذلك، فيكون النَّظمُ القرآنيُّ: (ومبشرًا ومُنْذِرًا)، إلّا أنَّ البيانَ القرآنيَّ عدل عن هذا، ووجه ذلك: أنَّ البِشارة لمّا كانت محبَّبةً إلى النُّفوس؛ رغَّبهم فيما عِنْده من الخيراتِ من غير حاجةٍ إلى المبالغَةِ؛ اكتفاءً بالدّاعي الطَّبعيِّ لها، بخلاف النِّذارة،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 155.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 264.

فإنَّها لمّا كانت النُّفوسُ في الغالب تنفِرُ مِنها، ولا يُقْدِم على إبلاغها إلّا مَن كَمُلت معرفتُهُ بما تضمَّنته من المنافِعِ الَّتي توجِبُ الإقدامَ على احتمالِ مرارةِ الإقدامِ في الصَّدْعِ بها؛ جيءَ بصيغةِ المبالغَةِ (نذيرًا)[1]، وفيه إيماءٌ إلى كثرةِ المُنْذَرين؛ وذلك لأنَّ أهل الكفرِ أكثَرُ عددًا مِن أهل الإيمانِ.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ الألفاظِ الثَّلاثةِ ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، وحذْفِ متعلَّقاتِها:

جاءت الأوصافُ الثَّلاثةُ الواردةُ في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ مُنَكَّرةً؛ لإفادة التَّعظيم والتَّفخيم، فرسولُ الله ﷺ خيرُ شاهدٍ وأعظَمُهُ، وخيرُ مُبَشِّرٍ وأفخَمُهُ، وخيرُ نذيرٍ وأبيَنُهُ، وحُذِفت متعلَّقاتُ الأوصافِ الثَّلاثة؛ لإفادَةِ العموم، وذلك لأنَّ حذف المتعلَّق مُؤذِنٌ بذلك مُشْعِرٌ به، فهو شاهدٌ على العبادِ كلِّهم في الدُّنيا والآخرةِ - أو في الآخرة فقط - ومبشِّرٌ لكلِّ مؤمنٍ بجميعِ ما يسرُّه مِنْ خيري الدّارَين، ونذيرٌ لكلِّ عاصٍ من كلِّ ما يسوؤُه في الحياة الدُّنيا وفي الدّار الآخرةِ.

رسولُنا ﷺ خيرُ شاهدٍ، وخيرُ مُبَشِّرٍ، وخيرُ نذيرٍ

دلالةُ الطِّباق بين (مبشِّرًا) و(نذيرًا):

بينَ (مُبَشِّرًا) و(نَذيرًا) من قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ طباقُ إيجابٍ، وفيه إيماءٌ إلى عُموم بعْثَةِ النَّبيِّ ﷺ إلى الخَلْقِ؛ إذِ الخَليقَةُ لا تَخْلو من مُسْتَحَقٍّ للبشارَةِ أو مُسْتَحَقٍّ للنِّذارَةِ، بَل حالُ العبدِ الواحدِ في نَفْسِه لا تَخْلو إمّا من عمَلٍ يَسْتَحِقُّ عليه البِشارَةَ بالثَّواب، أو عملٍ يستحقُّ عليه النِّذارةَ بالعَذاب.

أفعالُ العبادِ دائرةٌ بين الحُسْنِ والقُبْحِ

سرُّ ترتيبِ الأوصاف الثَّلاثة في الآية:

رُتِّبت الأوصافُ الثَّلاثة في قول الله سبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ترتيبًا بديعًا؛ إذ بَيَّنت الصِّفةُ الأولى وظيفتَه ﷺ، وهي كونُهُ ﴿شَٰهِدًا﴾؛ لأنَّ ذلك يقتضي التَّبليغَ، ويترتَّب على

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 292.

التَّبليغِ: البِشارة لِمَن آمن بهِ، وصَدَّق دَعْوتَه، والنَّذارة لِمَن أعرض عن رسالَته، وخالفه فيها[1]، وقُدِّمَت البِشارةُ على النِّذارةِ؛ لكونِها أحبَّ إلى النُّفوس، وللإيماءِ إلى أنَّ الشَّرْعَ متشَوِّفٌ من العبادِ أن يدخلوا الجنَّةَ ببذْلِ أسبابِها، وأعظمُ ذلك التَّوحيدُ.

دقَّـةُ البـيـانِ الـقُـرآنيِّ في ترتيبِ الأوصافِ المُتعاطِفَةِ

بيانُ المتشابه اللَّفظيِّ:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾، وقال سُبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: 45 - 46]، فقدِ اقتصَرَ البيانُ القرآنيُّ في آية الفَتحِ على ثلاثةِ أوصافٍ من خمسةٍ، وذلك لأنَّ أكثر السّورة في سياق ذِكر النَّبيِّ ﷺ وأحواله، وذِكْرِ المبايعَة والوعدِ والدُّخول، فكان الأنسبُ التَّفصيلَ في الأحزابِ، بخلاف الفَتحِ، وثَمَّ وجهٌ آخَرُ، وهو أنَّ الوصفَين المَذكورَين في الأحزاب ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: 46] قد صُرِّح بهما فيها، وذُكِرَ في سورة الفَتحِ بطريق الرَّمزِ والإشارة، فإنَّ قوله: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ دليلٌ على كونه داعيًا إلى شيءٍ يجبُ الإيمانُ به، وقولهُ: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ﴾ دليلٌ على كونِه سراجًا منيرًا؛ لكونه جاءَ بما يجبُ من التَّعظيم[2].

التَّـصـرُّف في الألفاظِ إجمالًا وتفصيلًا بما يُلائِمُ المَقامَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 72.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 72.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"